شرح

تجريد التوحيد المفيد

تأليف

الإمام العلامة أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي

(٧٦٦ - ٨٤٥ هـ)

لفضيلة الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ:

سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

ابن الجزري
مكتب ابن الجزري للبحث العلمي والتفريغ الصوتي
٠٠٢٠١٠٣٠٢٦٩١٥٩

الدَرْسِ (٥)

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ؛

فإننا نحمد الله، أن جعل اجتماعنا في مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَىٰ تقرير حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، عَلَىٰ بيان التوحيد، وما أجمل التوحيد، وما أجمل أهل التوحيد، وما أجمل من يحبون التوحيد.

في هٰذَا الدرس نشرح كتاب تجريد التوحيد المفيد، لتقي الدين، الإمام أحمد بن علي المقريزي، المصري الشافعي رَحِمَهُ اللهُ، المتوفى في سنة ثمانمائة وخمس وأربعين من هجرة نبينا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا زلنا معاشر الأحبة، نشرح الكلام الذي نقله الإمام المقريزي رَحِمَهُ اللهُ، من كتاب إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ وغفر له.

وقد قد علمنا أن لنقل المقريزي لهذا الكلام غورًا كبيرا، حيث أراد رَحِمَهُ اللهُ أن ينبهنا إِلَىٰ أن:

الناطقين بكلمة التوحيد، الناطقين بشهادة أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَى مراتب:

⇦ **فأول مرتبة:** من يقولون لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ويشهدون أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بألسنتهم، ولا يوجد ذلك في قلوبهم، وهٰذَا شأن المنافقين الذين كانوا يقولون: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بألسنتهم، ويكفرون بقلوبهم، وهؤلاء لا تنفعهم هٰذِه الكلمة الطيبة، شيئًا؛ لأنها بالنسبة لهم إِنَّمَا هي قشر يسترون به، لا وجود له في لُبِّهم أصلًا.

وانظر يا رعاك الله كيف أن المنافقين في زمن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رأوا رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعاشوا مع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم، وكانوا ينطقون بلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ولا يطهروا في عباداتهم شرك بالله، ومع ذلك ما نفعهم ذلك شيئًا، بل كانوا في الدرك الأسفل من النَّار، فكيف بمن يشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ولا يعرف معناها، بل

يزعم أن معناها، أنه لا رب ولا خالق ولا مدبر إلا الله، ولا يعتقد معناها اعتقادًا صحيحًا، ويظهر الشرك في أقواله، ويخبر عن الشرك في اعتقاده، ويظهر في أعماله.

كيف تنفعه هٰذِه الكلمة؟ كيف يكون من أهل الإسلام والتوحيد؟ وهو أسوأ حالا من المنافقين، ومن المشركين في زمن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تأمَّل رعاك الله، هل هٰذَا الذي ينتسب إِلَىٰ الإسلام؟ ويقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ولا يعتقدها عَلَىٰ المعنى الصحيح، ويظهر الشرك في أقواله وأعماله، فيستغيث بغير الله، ويدعو غير الله، ويخبر عن الشرك في اعتقاده.

هٰذَا هل تراه يشبه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، أم تراه يشبه المنافقين، أم تراه يشبه المشركين في زمن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

لا شك أن الناظر المنصف المتدبر، يعلم أنه لا يشبه رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا الصحابة، بل هو يُضاد ما دعا إليه رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُضاد ما كان عليه رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما كان عليه الصحابة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم، وهو أسوأ من المنافقين والمشركين، من جهة أن المنافقين والمشركين كانوا يعلمون معنى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ولكنهم يشركون بالله، إما إخفاء كما عند المنافقين، وإما إظهارًا كما عند المشركين.

كما أنه يشبه المنافقين، في أنه لا اعتقاد صحيح في قلوبهم، ويشبه المشركين، في أن الشرك ظاهر في أعماله، فكيف يرتضي من عرف الإسلام لنفسه هٰذَا المقام، ولا شك أن هٰذَا الأمر يهدم شبهة المشركين، الذين يقولون كيف تُكَفرون من قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ كيف تُكَفرون من ينتسبون إِلَىٰ الإسلام؟

فإنه إذا كان المنافق الذي رأى رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، جعله الله في الدرك الأسفل من النَّار، فكيف بمن فاقه، كما أشرنا إليه قبل قليل، فهٰذِه المرتبة الأولى مرتبة القول الخالي من الاعتقاد، وهٰذِه لا تنفع شيئًا، من جهة الحقيقة، وإِنَّمَا تنفع من جهة الظاهر، فإنه يُعامَل من جهة الظاهر معاملة المسلم، ما لم يظهر منه ناقض لقوله.

⇦ **والمرتبة الثانية:** مرتبة الذين يقولون: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ويشهدون أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ويعتقدون ذلك في قلوبهم، اعتقادًا، يقينيًا مطابقًا لمعناها، نفيًا وإثباتًا في إخلاص لله، ومحبة وقبول وانقياد، مع السلامة من النواقض في الأقوال والأعمال والاعتقادات، مع الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تَعَالَىٰ، مع عمل من أعمال الجوارح، مصدِّق وهو عندنا، فما

عند جماعة من محقق أهل السنة والجماعة هو الصلاة، ومن أتى بهذا، فقد أتى بحقيقة التوحيد، وثبت له الإسلام، وهٰذَا توحيد عامة الناس، فإنهم يأتون بهذا ويحصل منهم تقصير فيما وراءه.

⇦ **والمرتبة الثالثة:** هي أن يوجد من الإنسان ما تقدم في المرتبة الثانية، مع فعل الواجبات بحسب الاستطاعة، وترك المحرمات، فلا شِرك بأنواعه، ولا بدعة بأنواعها، ولا كبيرة بأنواعها، وإن فُعلت الكبيرة أُعقبت بالتوبة، وهٰذِه مرتبة تحقيق كمال التوحيد الواجب، وهي مرتبة عموم أهل العلم، ومن يأخذ عن أهل العلم.

⇦ **والمرتبة الرابعة:** هي أن يوجد ما تقدم في المرتبة الثانية والثالثة، مع الإكثار من فعل المستحبات، وترك المكروهات، وتقليل فضول المباحات، مع انجذاب القلب إِلَىٰ الله بالكلية، وتخليص القلب لله بالكلية، فيعظُم التوكل ويشتد، ويقل فعل الأسباب لقوة التَّوَكُّل، فلا يتطيرون، ولا يكتوون، ولا يسترقون وعَلَىٰ ربهم يتوكلون، وهٰذِه أعلى المراتب، وأحلى المراتب، وأجلى المراتب هي مرتبة تحقيق كمال التوحيد المستحب، وهي مرتبة الصديقين من العلماء، ومن يأخذ عن هؤلاء العلماء.

إذًا يا عبد الله، ينبغي عليك أن تعرف التوحيد وما يضاده، وأن تأتي بحقيقة التوحيد، ثم ينبغي أن تجاهد نفسك في الترقي، حتى تبلغ كمال مرتبة كمال التوحيد الواجب، وتُجاهد نفسك في الترقي، حتى تبلغ ما تستطيع من كمال في كمال التوحيد المستحب، هٰذَا مراد المقريزي من إيراد هٰذَا الكلام، وقد شرحنا بعضه، ونشرح ما بقي من هٰذَا الكلام، فيتفضل الابن نور الدين وَفَّقَهُ اللهُ، والسامعين يقرأ لنا من حيث وقفنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال العلامة المقريزي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ويخرج عن هذا التّوحيد: أتباع الهوىٰ.

(الشرح)

لما بين المقريزي تبعًا للغزالي، أن لُباب التوحيد هو ما سميناه، بمرتبة تحقيق كمال التوحيد المستحب، وشرحنا ذلك قَالَ: يخرج عن هٰذَا التوحيد؛ يعني عن المرتبة، اتباع الهوى، فالتوحيد يدفع

اتباع الهوى، واتباع الهوى يُخرج عن التوحيد بحسب قوته، انتبهوا التوحيد يدفع اتباع الهوى، وكلما عظُم الإنسان في مراتب التوحيد، كلما كان اندفاع الهوى في حقه عظيمًا.

كما أن اتباع الهوى يُخرج من التوحيد بحسب قوته، فقد يُخرج من مرتبة كمال التوحيد الواجب، وقد يُخرج من مرتبة حقيقة التوحيد.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: فكلّ من اتّبع هواه فقد اتّخذ هواه معبوده.

(الشرح)

الهوى يا إخوة في اللغة، والأصل هو ميل النفس إِلَىٰ ما تُحب وتشتهي، وميل الطبع إِلَىٰ ما يلائمه، هواك في الأصل هو أن تميل إِلَىٰ ما تحب، وهٰذَا قد يكون خيرًا وقد يكون شرًا، قد تحب الصلاة فتميل الصلاة من العبادات كثيرًا، قد تحب طلب العلم فتميل إِلَىٰ طلب العلم كثيرًا، وقد تحب الكذب فتميل إِلَىٰ الكذب عن الصدق كثيرًا، هٰذَا من جهة الأصل كله هوى.

والهوى في الشرع، قد يُطلق عَلَىٰ المحبة والميل مطلقًا، فيدخل فيه الميل إِلَىٰ الحق، والميل إِلَىٰ المحبوب حبًا مباحًا، والميل إِلَىٰ الباطل فيسمى في الشرع هوى، أن يميل الإنسان إِلَىٰ الحق قد يسمى هوى في الشرع، أن يميل الإنسان إِلَىٰ ما يحبه حبًا مباحًا، قد يسمى في الشرع هوى، أن يميل الإنسان إِلَىٰ الباطل يسمى في الشرع هوى.

قالت أمنا عائشة لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما أرى ربك إلا يُسارع في هواك، رواه البخاري في الصحيح، ولا شك أن أمنا عائشة الله عنها إِنَّمَا تريد، أني ما أرى ربك إلا يسارع وإلى ما تحب، ويعطيك ما تحب وترضى، ولا شك أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا يميل إِلَىٰ الحق، أَوْ يميل إِلَىٰ ما أباحه الله، كالطيب، والنسا، ويقينًا لا يميل إِلَىٰ الباطل.

⇦ إذًا الهوى في الشرع، قد يُطلق عَلَىٰ المحبة والميل مطلقًا، والهوى المُهلك المذموم شرعًا، قد يقود إِلَىٰ الشِّرْك، وقد يقود إِلَىٰ البدع، وقد يقود إِلَىٰ الوقوع في الكبائر؛ لأن الهوى يا إخوة قد يتعلق بالشبهات، فيميل الإنسان إِلَىٰ الشبهة، والشبهة قد تقود إِلَىٰ الشرك الأكبر، وقد تقود إِلَىٰ الشرك الأصغر، وقد تقود إِلَىٰ البدع.

وقد يتعلق الهوى بالشهوات، والشهوة تقود إِلَىٰ فعل الكبائر، ولهذا يا إخوة سُمي أهل البدع بأهل الأهواء؛ لأنه ما قادهم إِلَىٰ البدع إلا الهوى المذموم شرعًا، وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، أن اتباع الهوى في الشبهات والديانات أعظم من اتباع الهوى في الشهوات؛ يعني أقبح من الهوى في الشهوات.

قال تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، ولهذا اشتدّ تحذير السلف من الهوى، ومن أهل الأهواء، والهوى ليس طريقًا للهدى، إِنَّمَا هو مُضل عن الهُدى، ومن سلك طريقًا يلتمس به الحق، غير ما جاء عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد اتبع الهوى، من التمس الحق بطريق علم الكلام، فقد اتبع الهوى، والهوى ليس طريقًا للهدى، وإِنَّمَا يُضل عن سبيل الله سبحانه وتعالى.

والعلماء يقولون: من هوى فقد هوى وهان؛ يعني من اتبع الهوى المذموم شرعًا، فقد سقط هوى وهان؛ لان العز في الهدى، والهوى مضاد للهدى، ويقولون: من هوى أكمل فرسم النون، هوى هوان، هوى هوان، فالهوى ليس طريقًا للهدى، والهوى ليس طريقًا للعزة، بل من هوى هوى، وقاد نفسه إِلَىٰ الهوان ونحن نتكلم عن الهوى عند الإطلاق، وهو الهوى المذموم شرعًا.

والموحد عَلَىٰ الهدى، ويبرأ من الهوى، ومن اتخذ هواه معبوده، فإنه يُخرجه عن التوحيد بحسب قوة الهوى، فقد يهوي به عن مرتبة تحقيق كمال التوحيد الواجب، بأن يقوده إِلَىٰ الشرك الأصغر، أَوْ البدع أَوْ الكبائر، وقد يهوي به عن حقيقة التوحيد، بأن يقوده إِلَىٰ الشرك الأكبر -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

(المتن)

قال تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

(الشرح)

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]؛ أي أنه اتخذ دينه بغير هدى من الله، وقلنا: قل من اتخذ دينا بغير هدى من الله فقد اتبع الهوى، يكون إلهه هواه يتبعه ويطيعه، وكما كنا

قد يقوده إِلَىٰ الشرك الأكبر، وقد يقوده إِلَىٰ الشرك الأصغر، وقد يقوده إِلَىٰ البدع، وقد يقوده إِلَىٰ فعل الكبائر.

(المتن)

قَالَ: وإذا تأملت عرفت أن عابد الصنم لم يعبده إنما عبد هواه، وهو ميل نفسه إلىٰ دين آبائه، فيتبع ذلك الميل، وميل النفس إلىٰ المألوفات.

(الشرح)

إذا تأملت عرفت أن عابد الصنم لم يعبده، إِنَّمَا عبد هواه، والحقيقة أن عابد الصنم قد عبد الصنم، وعبد هواه، وعبد الشيطان الأكبر.

فإنه يعبد الصنم، ويتقرب إليه، وهٰذِه عبادة وعبد هواه، فإنما قاده إِلَىٰ عبادة الصنم الهوى، وهو ميله إِلَىٰ المعتاد، أَوْ ما عليه الآباء، الآن تجد بعض المنتسبين إِلَىٰ الإسلام، يعكفون عَلَىٰ القبور، ويستغيثون بالقبور وأهل القبور، وإذا قلت له اتق الله، ووحد ربك وعلق قلبك بربك، يأبى أن يستجيب كثير منهم، لما؟ لأنهم المعتاد، هٰذَا الذي اعتادوا عليه.

ترى بعض الصوفية وهم يعبدون الله بطرق خرافية، يدرك العاقل لأول وهلة أنها باطل، واليوم هٰذِه الوسائل كشفت هٰذِه الأمور لنا، نحن ما نرى الحمد لله الصوفية، إلا إذا سافرنا أحيانًا، لكن هٰذِه الوسائل كشفت لنا كيف يعبدون الله عَزَّ وَجَلَّ، بطرق يدرك العاقل لأول وهلة، لو لم يكن عنده علم، لكن عنده عقل، وقد سلم من الهوى، الذي هو المعتاد أَوْ ما عليه الآباء، أنها باطلة.

لا يمكن أن يُعبد الله بمثل هٰذَا، بلغ الأمر أن يقرأوا القرآن عَلَىٰ أنغام الموسيقى، يقرأوا سورة الزلزلة، التي تزلزل قلوب المؤمنين، عَلَىٰ أنغام الموسيقى، ومع ذلك يتمسكون بهذا الباطل، لما؟ لأنه الهوى؛ لأنهم اعتادوا عَلَىٰ هٰذَا، يتمسكون بالعادة، ويتمسكون بما عليه الآباء، وعابد الصنم أيضًا عابد للشيطان؛ لأن الذي أمره وزيَّن له إِنَّمَا هو الشيطان، فأطاعه في عباده لغير الله، فهو يعبده، حتى لا يُقال أن كل من أطاع الشيطان عبد الشيطان، لا أطاعه في عبادة لغير الله فهو يعبده.

إذًا عابد الصنم عابد للصنم وعابد للهوى، وعابد للشيطان، والمشركون في زمن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّمَا كانوا يميلون إِلَىٰ الشِّرْك؛ لأنهم وجدوا آباءهم عَلَىٰ تلك الأُمَّة، وهم عَلَىٰ آثارهم

مقتدون، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ عنهم: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، فهم يرون أن آثارهم هداية، يقتدون بهم؛ لأنهم يرون أن لزوم ما هم عليه هداية، وهٰذَا لا شك أنه من اتباع الهوى.

(المتن)

قَالَ: وميل النفس إلىٰ المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوىٰ.

(الشرح)

من لزم المألوف، حتى ترك المعروف، فقد اتبع الهوى، من لزم ما هو مألوف في بلده، ما ألفه عن آبائه وأجداده، حتى ترك المعروف، حتى ترك الحق فقد اتبع الهوى، وهٰذَا كما قلنا عَلَىٰ درجات، قد يكون في باب ارتكاب الكبائر، وقد يكون في باب ارتكاب البدع، وقد يكون في باب ارتكاب الشرك الأصغر، وقد يكون في باب ارتكاب الشرك الأكبر.

إذًا القاعدة من لزم المألوف حتى ترك المعروف، فقد اتبع الهوى.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: ويخرج عن هٰذَا التوحيد: السخط علىٰ الخلق، والالتفات إليهم، فإن من يرىٰ الكل من الله كيف يسخط علىٰ غيره أو يأمل سواه؟

(الشرح)

تقدم بيان هٰذِه الجملة، عندما ذكر المقريزي حقيقة التوحيد، وشرحناها وعلَّقنا عليها بما تُفهم به إِنْ شَاءَ اللهُ، فهمًا سويًا سليمًا، والمراد هنا أن كمال التوحيد، يمنع السخط عَلَىٰ الخلق، والسخط عَلَىٰ الخلق ينافي كمال التوحيد.

تقدم بيان هٰذَا بيانًا كافيًا، وأن من التوحيد ألا يسخط الإنسان عَلَىٰ الخلق ولا يشتكي الخلق، وبيَّنا متى يشتكيهم ونحو ذلك.

✍ إذًا المقصود هنا أن تعلم أنك مال التوحيد، يقتضي ألا تعلق قلبك بالخلق مطلقًا، وألا تسخط عليهم، ولا تتشكى منهم، وأن السخط عَلَىٰ الخلق ينافي كمال التوحيد عَلَىٰ المعنى الذي قدمناه سابقًا.

(المتن)

قَالَ: وهذا التوحيد مقام الصديقين.

(الشرح)

كما قلنا هٰذَا، أعلى المراتب، وأحلى المراتب، وأجلى المراتب، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، التوحيد ميدان السباق إِلَىٰ الجَنَّة، وينبغي عَلَىٰ الموحدين أن لا يقفوا عند حد في التوحيد، بل يسعى الموحِّد أن يترقى، ولا يزال يترقى ما عاش.

فإن المشروعات كثيرة ومتجددة، أعني في كل وقت من أوقات العبادة، في كل زمن تتجدد إِلَىٰ أن يموت الإنسان، ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، لا تزال تترقى في مراتب التوحيد، فجاهد نفسك وسابق وسارع، لعلك أن تلقى الله وأنت في أعلى ما يمكن من مراتب تحقيق التوحيد.

(المتن)

قال رَحِمَهُ اللهُ: ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون.

(الشرح)

كفار قريش الذين بُعث فيهم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كانوا يُقرون بربوبية الله في الجملة، ولا يشركون بالله في ربوبيته، ولا سيما ما يتعلق بأصول الربوبية الكبار، كالخلق والرزق والتدبير، قال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، إِلَىٰ غير ذلك من الآيات.

والله ذكر ذلك عنهم ولم يُكذبهم، ولو كانوا كاذبين فيما يقولون، لكذبهم الله؛ لأن بعض أهل الشبهات يقولون: كانوا يقولون هٰذَا بألسنتهم، وإلا فهم ما يقرون بالربوبية، ولذلك كفروا، ما كفروا من أجل الشرك في الألوهية والتسوية في الألوهية، كفروا من أجل الربوبية، وهٰذَا الذي في القرآن، إِنَّمَا هو قولهم وهم كذابون، نقول: الله أخبر عنهم، ولم يُكذبهم، ولو كانوا كاذبين، لكذبهم وبين أنهم كاذبون.

ثم إن الله ألزمهم بإقرارهم بالربوبية أن يقروا بالألوهية، فدل ذلك عَلَىٰ أن هٰذَا كان حاصلًا منهم، ولذلك الحظ يا أخي، أن الله لم يخاطب المشركين في زمن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإيمان بالربوبية؛ يعني لم يأمرهم بالإيمان بالربوبية، بل قرر سبحانه وتعالى، وإِنَّمَا كان أمرهم أمرًا بالألوهية؛ لأنهم كانوا يقرون الربوبية، لكن منهم من لم يكن إيمانهم بالربوبية خالصًا، إذ لو كان خالصًا لاستلزم يقينًا أن يوحدوا الله في ألوهيته.

إذًا منهم من كان في توحيده بالربوبية نقص وشبهة، ومنهم من كان لإيمانه بالربوبية، يجد في قلبه توحيد الألوهية، لكنه يأبى، ويأبى أن يقوله، وأن يعمل به، وجحدوا بها، واستيقنتها أنفسهم، من كان إيمانه بالربوبية صحيحًا خالصًا، يجد في نفسه توحيد الألوهية، وأنه لابد من توحيد الألوهية، لكنه قد يأبى ذلك ويأبى أن يقوله، ويأبى أن يعمل به، فلا يكون موحدًا.

ومنهم من كان إيمانه بالربوبية موصلًا إِلَىٰ معرفته بالألوهية، لكن منعه الهوى وتقليد الآباء، والخوف من الذم من أن يوحد الله في ألوهيته، انظروا لأبي طالب، وقد جاء رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: يا عماه قل كلمة أحاج لك بها عند الله، فيقول له: مجالساه أتترك دين عبد المطلب؟ فكان يثيران فيه النعرة، هٰذَا دين جدك وتُذم؛ لأنك عند الموت قد تركت دين جدك، فمات عَلَىٰ دين اه هٰذَا دين أبيك، وتُعيَّر وتُذم عند الناس بأنك تركت دين أبيك، فمات عَلَىٰ ديني عبد المطلب.

وألف قول المصنف ولم ينكره المشركون، أل هنا يُحتمل أنها للعهد، أي لم ينكره المشركون المعهودون، الذين خاطبهم رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم مشركوا قريش، وأما غيرهم فمنهم من كان يشرك في توحيد الربوبية، كالذين يقولون: إن للنور خالقًا وللظلمة خالقًا، وهناك الدهريون، فتكون أل هنا للعهد، وإما أن تكون أل للجنس، فيعم ذلك المشركين جميعًا؛ لأنه الغالب، والغالب يكون كالعام.

فالذين يشركون في الربوبية عَلَىٰ مر الزمان شُذَّاذ، ولكنهم كثروا في المنتسبين إلى الإسلام ممن ظلوا عن التوحيد، وكثروا في زماننا، ألم تسمعوا من يُشرك الأولياء بالله في الربوبية، ويقول: الولي يستطيع أن يخلق، ولولا الخوف من اختلاط الأنساب، لخلق الولي الولد في رحم أمه، ألا تعلمون أن

الصوفية، أتباع الطرق يعتقدون أن الأولياء يدبرون الكون؟ وأنه لا تحرك متحرك في الكون، ولا يسكن ساكن في الكون، إلا بتدبير كبار الأولياء.

بل منهم من يعتقد أن الأولياء يجتمعون كل يوم في غار حراء، كبار الأولياء ويدبرون الخلق، ألا يشركوا هؤلاء في الربوبية؟ بلى وربي، بل والله قد سمعت من يقول: لا فرق بين الله والولي في الرزق، فالله يرزق الولي يرزق، هكذا بالنص لا فرق يقولون: أعوذ بالله من أعوذ بالله يقولون: لا فرق الله والولي في الرزق، فالولي يرزق والله يرزق، ولا فرق بين الله في الخلق، فالله يخلق والولي يخلق لو أراد.

هؤلاء والله أقبح حالًا وشأنًا من أولئك المشركين في زمن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذين ما كانوا يشركون في الربوبية، واليوم عظُم الإلحاد، وكثُر لقلة العلم، وكثرة المشبهين فصار هناك من يعتقد عدم وجود الله، وهٰذَا في الحقيقة لا يمكن أن يستمر لا يمكن، الذي يقول أنه يعتقد عدم وجود الله، لا يمكن أن يستمر عَلَىٰ هٰذَا الاعتقاد في جميع أحواله.

ولذلك إذا إصابته مصيبة أَوْ نزل به بلاء عظيم، أقل ما يفعل أنه ينظر إِلَىٰ أعلى، وإلا فإنه يجد قلبه يلجأ إِلَىٰ الله، ولو عاند في ظاهره، وهٰذَا الإلحاد الذي يكثر في زماننا، وللأسف بدأ ينتشر وإن لم يكن ظاهرة بين الشباب الذين ينتسبون إِلَىٰ الإسلام، طريقه وسبب انتشاره أمران.

الأمر الْأَوَّلُ: استعمال أصحابه للمنطق أَوْ العقليات في ظنهم، وهي تغرُّ الشباب، شبابنا اليوم شباب هٰذَا العصر، ولذلك ناصحت ملحدًا من كبار الملحدين العرب، قد بلغ مرتبة كبيرة في مراتب الملحدين العرب، فعرفت من أين أوتي، أوتي من المنطق، فصرت أحاوره بالمنطق، وبأصول المنطق، وقواعد المنطق، فهدمت بحمد الله والله هو الهادي هٰذَا في نفسه، بعد عدة جلسات ثم أخبرني أنه يعكف عَلَىٰ كتابة مؤلف ينتقد فيه الملحدين العرب، ويبيِّن فساد أصولهم، هٰذَا الأمر الْأَوَّلُ.

والأمر الثَّانِي: أن الإلحاد يتكئ عَلَىٰ الشهوات، ما الذي يمنعك من أن تتلذذ بالشهوات مطلقا؟ أنك تعتقد في الله، لكن لو صرت ما تعتقد في الله تفعل ما تشاء، ولذلك بلغ الحال ببعضهم، لا بكلهم أنهم يتبادلون الزوجات، وهذي مرتبة ومنزلة أقل من مرتبة الحيوانات.

إذًا يا إخوة الأصل أن الذين يُنكرون الربوبية، ويشركون في الربوبية شُذَّاذ بالنسبة لغيرهم؛ لأن الأغلب من المشركين أنهم يُقرون بالربوبية، ولذلك يصح أن تكون أل هنا للجنس؛ لان الحكم

للأغلب وإن كان ما قلت للأسف، إنكار الربوبية والشرك في الربوبية حصل في أعداد كبيرة ممن ينتسبون إِلَىٰ الإسلام، وظلوا عن التوحيد.

وأيضًا في ظاهرة الإلحاد التي هي ظاهرة بالنسبة للعالم، وهي أمر ينبغي أن يُتنبه إليه، وأن يُحارب، كم الساعة ستة ونص، طيب لعلنا نقف عند هٰذِه النقطة، وكما قلت سابقًا يا إخوة، هٰذَا الكتاب مفيد جدًا، وكل جملة من الجمل التي وضعها المقريزي، أحسب والله أعلم أنه وقف معها طويلًا، فقد أحكم وأتقن بحسب الإمكان، كل جملة في هٰذَا الكتاب منارة للتوحيد.

تستطيع أن تقف معها، وأن تستنبط وأن تبين الحق بجلاء، ونحن سنمشي مع الكتاب بحسب ما يحقق المقصود إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ، ولو طال بنا الزمان قليلًا، فأنا دائمًا أقول: إن كل مجلس هو غنيمة في العلم، هٰذَا في كل علم، فكيف في علم التوحيد؟ الذي يتعلق بحق ربنا سبحانه وتعالى، أسأل ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما جمعنا في مسجد رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ تقرير التوحيد، أن يُقر أعيننا بعزة التوحيد وأهله، ونصرة التوحيد وأهله، وأن يكرمنا بأن نكون خُدامًا دعاة إِلَىٰ توحيده، حماة إِلَىٰ توحيده، اللّٰهم يا ربي إن هؤلاء عبادك قد اقتطعوا من وقتهم، واجتمعوا في مسجد رسولك صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنت أعلم بهم اللّٰهم فأعطهم ما يأملون، وزدهم من فضلك يا رب العالمين، اللّٰهم اجمعنا جميعًا عَلَىٰ التوحيد وَالسُّنَّة، واجمعنا في الفردوس الأعلى برفقة نَبِيِّنَا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

واللهُ تَعَالَىٰ أَعَلَىٰ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا وَسَلَّمْ.